



بسم الله الرحمن الرحيم
الملمم الموهوب
الإمام الشهيد حسن البنا
في ذكرى مئوية ميلاده (1906 - 2006)



نشرة دورية ، تصدر كل اسبوعين عن " رسالة الإخوان "

١ اصول العشرون

الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعا فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة، وهو خلق وقوة أو رحمة وعدالة، وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء، وهو مادة وثروة أو كسب وغنى، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة، سواء بسواء .

الإمام حسن البنا



في هذا العدد

حسن البنا ..
الداعية والمربي

باحثة ألمانية تعيد اكتشاف الغرب لكبرى الحركات الإسلامية
((4))

لا إله إلا الله مهج حياة
((5))

الملمم الموهوب ..

الإمام حسن البنا

تصدر عن:

"رسالة الإخوان"

113 Cricklewood

Broadway

London NW 2 3JG

Tel: 0208 2084583

FAX: 02082084283

Email:

banah100@hotmail.com

حسن البنا

نسر يخفق بجناحيه في سماء الناس

((15))

بادية مدينة الإسماعيلية ومناخها الذي لم تتجاذبه أفكار تطمس جوهر العقيدة وصحيحها لم يكن فيها غير موروث قديم في عقول الناس ومفاهيمهم عن الإسلام حملته قرون غاب عنها الفهم الصحيح لجوهر الدين الذي تعلق به قلوب أهلها ولا تقبل له بدلا، ولم يكن من الصعب على أولئك نفر من السابقين إلى الالتفاف حول فتانا الذي كان ما زال في العشرينيات من عمره والذين عاشوا قرب إلى الفطرة وإلى الزهد في الدنيا وزخرفها وحب الخرة وما قرب إليها من قول أو عمل أن تكون نظرتهم إليه فاحصة تبدأ من اليقين بصحة عقيدته واستقامتها على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وما يصل إلى آذانهم منه فوجد الطريق سالكا وممهدا إلى قلوبهم، وما رآته أعينهم بعد أن أحاطوا به إحاطة السوار بالمعصم ، فرأوا سلوكه الذي لا يناقض دعواه، وعاشوا معه وهو عزب صباحه ومساءه فعرفوا عنه كل شيء .. عبادته لربه وكيف يؤديها بلا نقصان، وخلقه وكيف يتوافق مع ما عرفوه من التربية القرآنية والسنة المحمدية، وتعاملاته مع الناس وكيف يخفض جناحه للمؤمنين منهم ويفتح قلبه ويفسح من وقته للشاردين، وماله الذي يعتاش منه ومجالات إنفاقه، وصلته بأهله وجيرانه وكيف يحسن فيها كعبادة يتقرب بها إلى ربه، وردود أفعاله وكيف يضبطها بشرع الله سبحانه فتكون مسارعة أو ضبطا للنفس وكظما للغيب أو استجابة لنصح واتباعا لإرشاد دون إعجاب بالنفس أو مجادلة بالباطل، وموازنة ربانية بين كبرياء نفس المؤمن وعدم إعطاء الذلة وإهانتها في سبيل عرض الدنيا وأدرانها . سنوات تأسيس أربع شاء الله سبحانه وتعالى أن يُجزي فيها قدره على حسن بن عبد الرحمن البنا يصبح فيها صفحة كتاب مفتوحة يقرأه إخوانه ومحبه .. وهي كذلك أيضا لغيرهم لا عوج فيها ولا أمنا .. وطنية المبتدأ من تربية امة ومن وسط الناس .. لا غنى يصرف عن الحق ولا فقر يجرف إلى غيره، لتكون شهادة حق أرادها المولى عز وجل كجبل شامخ يضحد كل غامز لرجل أنشأ دعوة كان لا بد لها من أن تنطلق دون شائبة تلحق بتاريخ صاحبها هيأتها بيئة عطشى للخير تأتي منها النبتة قوية سريعة الاستجابة صحيحة الفهم طاهرة الثوب فتكون دعوة ودعاة .. قائد وجنود .. مرشد وإخوان .. ثم جماعة الإخوان المسلمين .

وتأتي التجربة تلو التجربة والدرس تلو الدرس خلال هذه السنوات التي شكلت اساس لبناء الجماعة، واجه فيها المرشد حربا ضروسا لعلها لم تكن في حسبانته ولا حساب إخوانه وتم كيل الاتهام له تلو الاتهام بما اعتاده الناس من افتراء وطعون وظن بالباطل شاء الله عز وجل برعايته لفتانا أن تتحطم سهامها كلها تحت قدميه ولا تصل إلى صفحته البيضاء فتلوث حرفا منها وخصوصا ما يتعلق بدمته المالية وذمة إخوانه وجماعته وولائه لغير الله سبحانه ولرسوله ولدينه ثم لوطنه وأهله وعشيرته، وكان على أهل هذه الاتهامات أن يدوروا حول الجبل يتلمسون فيه ثغرة أو جزء رخوا يمكن أن تنفذ منه سهامهم، فجاء في إحدائها اتهام في عقيدة الإمام يحكي عنها في مذكراته فيقول:

في ليلة من ليالي الإسراء والمعراج كنت ألقى محاضرة بهذه المناسبة وقلت إن الإسراء والمعراج تكريم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما إذا تصورنا أن للروح سلطانا قويا على البدن بحيث يمكن أن يقال إن روح رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الليلة المباركة كانت من القوة والإمداد والانتعاش بحيث تسلطت على بدنه المبارك فغطت نوااميس المادة وجعلته في غنى عن الطعام والشراب والهواء والتأثر بالاحتكاك والمسافات إلخ ... فإن ذلك لا يكون مستبعدا ويقرب معجزة الإسراء إلى أفهام الذين يستغربونها وقلت إن شوقي رحمه الله أشار إلى هذا فقال:

بئساعطون وأنت أكرم مرسل

بالروح أم بالهيكل الإسراء؟

روح وروحانية وضياء

بهما سریت مطهرين كلاهما

وانتهى الحفل والناس كلهم سرور بما سمعوا، ولكن المغرضين ذهبوا يشيعون أن الإخوان المسلمين ينكرون الإسراء ويقولون إنها ليست معجزة وإنما بالروح فقط وليست بالبدن، وإنهم خوارج بهذا على إجماع امة وما عرف في ذلك عن اامة، وأراد الإخوان أن يردوا على هذا الكلام فنهيتهم نهيا شديدا وقلت لهم: إن الطريق الإيجابية أجدى ألف مرة من الطريقة السلبية فاشغلوا الناس عن الفكرة الباطلة بفكرة صحيحة فقالوا: وماذا نصنع؟ فقلت: أعلنوا عن محاضرة تحت عنوان عظمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعلوا، واجتمع الناس وتحدثت إليهم عن نواحي عظمته صلى الله عليه وسلم الخلقية والخلقية والروحية والعبادية، وعظمة رسالته الشاملة الخالدة الكاملة الباقية، وعظم منزلته عند الله في الدنيا واخرة، فخرج الناس ولا حديث لهم إلا ما سمعوا، وقذف الله بالباطل قدمغه فإذا هو زاهق .

وتتعدد الحوادث والمواقف ويحفظ إخوانه وجماعته الدرس ويعي الجميع التجربة ويدركون أنه ليس من شأن جماعة الإخوان المسلمين أن تلتفت إلى الباطل وتتشغل به فليس هذا طريقها ولكن (تشغل الناس عن الفكرة الباطلة .. بفكرة صحيحة) وهكذا جاء صوت الإمام الشاب وهو يحذو أمام القافلة لتنتقل في طريقها رغم كل الكيد وطول الطريق وعراقيل الباطل .. وينطلق هو ليصبح نسرا يخفق بجناحيه في سماء الناس .

الملهم الموهوب الإمام الشهيد حسن البنا

حسن البنا ... الداعية والمربي

"إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"
أدب

ذات يوم توفي الي رحمة الله تعالى والد أحد الإخوان الفضلاء في أسيوط .. وكان هذا الخ علي خلاف مع الإخوان منذ سنين ولم يحاول الاتصال بهم .. وبمجرد أن علم فضيلة المرشد بهذا إنتقل بسرعة من القاهرة إلى بلدة هذا الخ ناسيا كل خلاف. وحين وصل فضيلته استقبل هناك أحسن استقبال، وحين جاء وقت صلاة العصر توجهت جموع المعزين إلى المسجد، وبعد أداء الصلاة طلب المصلون من فضيلة المرشد أن يلقي عليهم موعظة، فوقف فضيلته وشكرهم، وقال : لقد أتيت معزيا ولم أت داعيا... وكانت هذه الكلمات المخلصة الكبيرة المعني أعظم دعوة .. وعاد الخ الي صفوف الإخوان راضيا مرضيا وزالت الجفوة.

لحظات وصل إلى المنزل فضيلة المرشد حسن البنا وكانت مفاجأة سارة .. جلس يتحدث معنا في تطورات الدعوة وواجبنا نحوها بروح لطيفة مؤنسة، وتحدث عن أمه في الشباب ووقتته بإيمانهم.. وكانت لحظات واستأنن استاذ للخروج .. وقمنا لوداعه، وكان عناقا حارا مؤثرا أبلغ وأعطر وأزكي مافيه، تلك الدموع التي تساقطت من عينيه.. وبألها من لحظات في حياتنا .. لا تنسى أبدا ."

وداع ..

يقول المرحوم عباس السبسي " تطوع شباب الإخوان المسلمون لقتال إلى هود علي أرض فلسطين الإسلامية، وكان قد تقرر نقلي من سلاح الصيانة في مرسى مطروح للعمل مع القوات المسلحة في غزة ، وذهبت إلى القاهرة ودع استاذ رحمه الله .. وهناك في دار المركز العام دعاني إلى لقاءه في حجرة في الدور العلوي، وجلس معي علي أفراد في حديث الوالد بغيرني بعاطفة حلوة ندية، كأنه لقاء الوداع.. كان يستشعر أنني ربما يكتب لي الشهادة في هذه المعركة، لهذا طلب مني أن أسجل عن نفسي بعض المعلومات التي قد تفيد النشر إذا قدر الله لي أن أكون في سجل الشهداء، ثم وقف يودعني بنفس الحرارة ونفس العاطفة وظل يراقبني حتي غبت عن ناظريه ولسانه في دعاء وقلبه في رجاء .. تلك هي القيادة التي توالى الجنود بصدق الحب والحدب، وبهذا يتكون الجنود الذين يسمعون ويطيعون القيادة بكل الإيمان والثقة والتجرد.

وحين استشهدت أول كوكبة من شباب الإخوان المسلمون في معركة دبر البلح بفلسطين في مايو 1946، خرجت جريدة الإخوان المسلمون اليومية وقد صدرت صفحتها ا ولى باطار أخضر بضم تعريفها زود بالصور الفوتوغرافية لإثني عشر شهيدا، وكتب الإمام حسن البنا يقول في هذا المعنى:
هؤلاء الاخوان قد أحسنوا صناعة الموت واختاروا الموتة المطهرة، التي طالما هتفوا بها، لقد صدقوا الله فصدقهم الله .. لقد عجبت كيف يحزن عليهم بعض الناس، مع أن الشهداء هم الذين فروا إلى الله تعالى رغبة وفرحا بلقائه "ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا، بل أحياء عند ربهم يرزقون.. فرحين بما آتاهم الله من فضله، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون".

مع سماحة مفتي فلسطين ...

روي استاذ محمد عبد الرحمن خليفة المراقب العام ا سبق للإخوان المسلمين في ا ردن ... أنه في إحدى زيارته لسماحة محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين، جاء ذكر الشيخ حسن البنا، فقال سماحة المفتي إنه قد تأثر كثيرا بشخصية استاذ حسن البنا، وقص عليه هذه القصة...
" ذات يوم زاره حسن البنا وجلس إلى جواره وتجادبا أطراف الحديث، وبعد برهة من الوقت جاء ضيف، فتخلي حسن البنا عن مكانه بجوارني .. وكلمنا دخل ضيف آخر ترك حسن البنا مكانه مفسحا للقادم الجديد وهكذا حتي أصبح مكانه إلى جانب باب حجرة الطعام .. ولما حان وقت الطعام وفتحت الغرفة، وكان من الطبيعي أن يكون أول الداخلين هو حسن البنا، ولكنني لاحظت أنه أخذ يتراجع حتي صار آخر الداخلين .. فادهشني هذا الخلق الرفيع!!".

صراخ ا طفل

في محنة الإخوان في نهاية 1948م، وفي الفترة التي قضاها قبل إستشهاده في فبراير 1949م .. كان كل هدف الإمام البنا هو إخراج المعتقلين، فتركزت كل جهوده ومساعيه حول تحقيق هذا الهدف، ولقد بلغت المساة في ضميره ذروتها.. مساة البيوت التي فقدت من يعولها وفقدت ا من والسعادة والطمأنينة.. لم يستريح باله ولن تفر نفسه المعذبة ولن يهدأ قلبه ا سيف الحزين، ولن يتوقف ما يسمعه من صراخ أطفال المعتقلين يدوي في أذنيه حتي يري آباءهم قد أفرج عنهم وعادوا سالمين إلى بيوتهم.. هكذا يروي عن حاله في هذه الفترة المظلمة من تاريخ مصر .

قالوا له: لقد اعتقلوهم جميعا وتركوك! فما هي الحكمة ؟ .. إنه من الخير أن تخرج إلى سوريا أو الحجاز أو باكستان، فرفض، وقال: هذا هو الجبن، كيف أترك هؤلاء في المعتقلات ولا أسعي لإخراجهم ! وكتب له الإخوان من المعتقل يقولون: دعك من أمرنا، وخذ الطريق الذي تراه .. ولكنه أصر على أن يخرج هؤلاء حتي يستريح. وقال له بعض المتحمسين: ألا تري أنهم قد حاربونا أعنف الحرب فحطموا بناء عشرين عاما.. صودرت ا موال وحلت الشركات، وأغلقت الشعب والمركز العام، واعتقل الإخوان با لاف، إليس هذا موعد اية: آذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ... ؟!

لقد كان في استطاعته أن يعلنها حربا ويشعلها نارا، وكان لديه من القوة ما يمكنه من ذلك ببناءهم من القواعد..

ولكن بماذا أجاب علي هؤلاء المتحمسين ؟.

قال: لن أكون داعية فتنة، ولن أمر بمنكر .. ولن أغضب لشخصي، ولن انتقم لنفسي .. ولما سمع بمقتل الفرانسي جزع وأسف ..

في منزل الاستاذ

مصطفى مشهور - رحمه الله-

يجهل كثير من الناس الحقائق والدوافع التي هي سر إلى قطة والحيوية في الانسان المسلم، وينظرون دائما إلى ا شكال والمظاهر ولا يغيصون ولا يستلهمون ما وراء ذلك ..

وقد ذكر المرحوم عباس السبسي في مذكراته " كانت لحياتنا بعض الوقت مع الإمام حسن البنا رحمه الله طبيعة معينة لم تكن ندرك تماما روعتها إلا بعد أن فقدنا تواجد ببننا، ولم ندرك هذه الحقيقة إلا بعد أن قست علينا المحن ونأت بنا عن هذه المعاشية، لقد كان حسن البنا روحا كبيرة فسيحة تملأ كل الفراغ كما يملأ الهواء كل ا جواء، وكان الحضور معه يعني أن تعيش مغمورا في بحر من السعادة والنور .. فهو يتعامل معك كأنك وحدك المقصود بكل عواطفه ومشاعره، وليست هذه العاطفة منه مجاملة أو ترضية، ولكنها عاطفة صادقة حقيقية عميقة رقيقة تجيش بالحب ... والامثلة علي ذلك كثيرة:

أذكر منها ما أحسنه بنفسي وشعوري، كان ذلك في منزل الخ استاذ مصطفى مشهور في شارع زين العابدين بمحرم بك بالاسكندرية عام 1945م، وهناك وجدت مجموعة من الإخوة قد سبقوني، وبعد

القائد المرابي

الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله

كان حسن البنا - حيث حل - يترك وراءه أثرا صالحا، وما لقبه امرؤ في نفسه استعداد لقبول الخير إلا وأفاد منه، وما يزيد صلته بربه، وفقها في دينه، وشعورا بتبعه نحو الإسلام والمسلمين، والرجل الذي يشتغل بتعليم الناس لا يستطيع في أحيائه كلها أن يرسل النفع فيضا غدقا، فله ساعات بخدمتها، وساعات يتألق وينير .. إن الإشعاع الدائم طبيعة الكواكب وحدها.. وقد كان حسن البنا في أفقه الداني البعيد، من هذا الطراز الهادي بطبيعته ن جوهر نفسه لا يتوقف عن الإشعاع... سل لوف المؤلف التي انتقت به، أو التي أشرق عليها الرجل في مداره العتيد، ما من أحد منهم إلا وفي حياته ومشاعره وأفكاره أثر من توجهات حسن البنا، أثر يعز به ويغالي بقيمته ويعتبره أثن ما أحرزه في دنياه..

كانت لدى حسن البنا ثروة طائلة من علم النفس، وفن التربية، وقواعد الاجتماع، وكان له بصير نافذ بطرائع الجماهير، وقيم أفراد، وميزان المواهب، وهذه بعض الوسائل التي تعين على الدعوة وليست كلها.

وحسن البنا كان موقفا في جذب الرجال، وكانت كلماته البارعة تأخذ طريقها المستقيم إلى عقولهم فتأسرها، وذلك أمر يرجع إلى فضل الله أكثر مما يرجع إلى المهارة الخاصة، أو اقتياد الكلمة من فم القائل إلى شغاف قلب السامع يمكن أن يقال فيه " وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى" ... وقد سمعت بعض تلامذة الإمام الشهيد يرددون المعاني نفسها التي كانت تجري على لسان الرجل ويستحيل أن تجد في كلامهم عوجا، ومع ذلك فإن الفتح بها محدود، إن السماء وحدها هي التي تضع للإنسان القبول في الرض، وقد كان حسن البنا ملاحظا بعناية الله من هذه الناحية الهامة، ويوجد في العالم الإسلامي رجال في مثل علم الإمام الشهيد، وربما كان لهم قلمه وأدأوه، ولكن التوفيق الذي صاحب دعوة حسن البنا، والنجاح الباهر الذي صادفه لم يلقه غيره مع تشابهه أ داء.

إن السلاح لجميع الناس تحمله عجز وليس كل ذوات المخلب سبع

وقد بدأ حسن البنا يربي الجيل الجديد للإسلام على أساس الذي وضعه للنهوض به، إنه يريد تكوين دولة إسلامية، وإقامة حكم شرعي وترأخت أيام، وكثرت التكاليف، طريق التربية الإسلامية... وكان الساسة في ميدانهم قد هجروا القرآن فما تدور على أسننتهم آياته، وما تعرف في أعمالهم توجيهات، فإذا بهم يسمعون في ميدان السياسة واعطاء يقرأ القرآن ويستهدى بمنار السنة .. وكان الطيبون من أهل الخير قد نسوا في العزلة التي رمتهم الحضارة الغربية فيها، أن للإسلام شريعة تحكم، ودولة تسود، فإذا بهم يسمعون في الصوامع والمساجد رجلا يحدثهم عن سياسة الدنيا باسم الله، ويسوق حشدا من النصوص الحاسمة تدفع الصالحين إلى إصلاح ما فسد حولهم من شؤون أمة ومرسليم الدولة.

وحسن البنا يعلم أن المسلمين هزموا في مواقع شتى، كسرت شوكتهم في القرن الأخير، ومكنت الغرب من ملاحقتهم في عقر دارهم بالإهانة والتسخير.

وعرف الرجل أسباب الهزيمة معرفة دقيقة، إن النفوس قد تحللت بالمعاصي، والجماعة قد انحلت بالإسراف، والدولة قد تهدمت بحب الدنيا وكرهاية الموت، ومن ثم انتصر الغرب، فيجب أن تقوم النفوس بالطاعة، وأن يحارب الإسراف أو الترف بالانقضاء والاجتهاد، وأن تعلم أمة الإقبال على المخاطر لتسلم لها الحياة، وأن يتم ذلك كله على دعامة موطدة من قوة الصلاة بالله تشق الحناجر بهذا الدعاء (ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) ومن ثم ينتصر المؤمنون.

وقد حار أصدقاء حسن البنا وأعداؤه في فهم هذه السياسة الجديدة، وتضاحك أهل الدين وأهل الدنيا ممن يبنون الانتصار على الاستغفار.. وحق لهم أن يضحكوا ساخرين.. أما الماديون من أهل الدنيا فهم يحسبون ذلك دجلا لا طائل تحته .. وأما غيرهم فقد وفر في نفوسهم أن اللجوء إلى الله لا يكون إلا قرين العجز، وأثر السلبية المطلقة في علاج أمور، ولما يسأل أحدهم ربه إلا وهو محصور محسور .. إن هؤلاء يحسبون الإنسانية مع خالقها كالابن العاق مع أبيه الغني لا يرجع إليه إلا مضطرا، عندما تفرغ يده من النقود .. ولو فقها أية السالفة (ربنا اغفر لنا ذنوبنا) لعرفوا أن قائلها كانوا صفا مناضلا في حومة الوغى تصرع من حولهم رسل الحق انتصارا للحق وتفانيا في حمايته، ومع شدة ما يلقون - في ذات الله - من محن يثبتون ويؤدون واجبه على خير الوجوه "وما كان قولهم إلا أن قالوا: ربنا اغفر لنا ذنوبنا".

على هذه الصخرة من علاقة الفرد بربه علاقة إنتاج وإقبال واستغفار لا علاقة كسل وإبهار وانهبان كان البناء حسن يجمع اللبانات الجديدة لإعادة ما انهدم من أركان الحكم الإسلامي النظيف. وما صدق الناس سلامة هذا الاتجاه في التربية حتى شهدت بداية الشام وشيطان القناة أحفاد خالد وأبي عبيدة وابن العوام وابن الصامت، صورا متشابهة تتكرر بها مجزة رسول الله في أ خرين كما بدأت في أولين.

منذ أيام مشيت في جنازة عمر شاهين ثم سبحت في الذكريات إلى أيامنا الماضية ولرسمت أمام عيني صورة الإمام الشهيد حسن البنا فقلت لنفسى: إن الذي علم هذا الشاب كيف يستشهد في سبيل الله هو حسن البنا، وقد سبقهم الرجل في سلوك الطريق التي رسمها فما كذبهم .. ولا كذبوه وأعدت النظر إلى التنبأ الناصع الجبين من حول الجنازة المتهاوية إلى الجنة ثم تلوت قول الله : (من المؤمنين رجال صدقوا ما عهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ..).

باحثة ألمانية تعيد اكتشاف الغرب لكبرى الحركات الإسلامية

((4))

هل كان البنا أصوليا؟

في محطة أخرى حاسمة سيكون السؤال "هل كان البنا أصوليا؟" بمثابة أحد أسئلة الشائكة التي تتصدى لها الباحثة. ولا تكمن الجراة في الإجابة على هذا السؤال بالنسبة لباحثة ناشئة في وسط يعج بمن يُعرفون في ألمانيا بـ"خبراء الإسلام" ومن بينهم من اتهمهم الوسط الأكاديمي المختص بترويجهم للأحكام المسبقة؛ بل تأتي الجراة في مجرد الإقدام على طرح السؤال ذاته على ما يعتبر من المسلمات.

وبعض النظر عن ما تعتبره كثير من أديبات من أن حسن البنا أبو أصولية إسلامية، فإن الباحثة تطرح هذه التسمية للتساؤل. وتشدد لوين، وعبر تعزيز استنتاجها با مثلة، على أن "البنا لم يكن يقف معترضا طريق التحديث، ولم يكن يستنبط نموذج الاجتماعى من المرجعيات النصية الدينية مباشرة. وبهذا المعنى اعتقد أنه لم يكن أصوليا"، على حد قولها.

ومن الواضح أن الباحثة توجهت إلى نقض صفة أصولية ذات المنشأ الغربي، وهي الصفة المشبعة بالسلبية، وذلك بمعزل عن التطرق إلى صفة أصولية من جهة التكوين الشرعي الإسلامي في علم أصول الفقه. ثم إنها تكون هنا قد حددت اختيارها باعتبار أصولية متعارضة بالضرورة مع التحديث، وهي قضية يصعب حسمها طالما لم يُحدد بدقة مفهومها أصولية والتحديث المثيرين للجدل.

ولما كان عليه أمر؛ فإن الباحثة تتطرق إلى مزيد من الاستنتاجات التي تصب في ضوء الرؤية التي تدافع عنها بقوة، ففي طروحاته في مجالي السياسة الاقتصادية والسياسة الاجتماعية، على وجه الخصوص، نجد البنا يشير باستمرار إلى روح الإسلام. فهو يدعو إلى نظام أخلاقي يقوم على الحق والعدل والخوة، مشتقا تلك القيم من الإسلام كما يتصوره. وفي تلك الحالات الخاصة التي يوجد بشأنها نص قطعي واضح أحكام، يطالب البنا بالالتزام بها، والطريق إلى هذا الالتزام يكون برجوع الفرد إلى دينه والتطهر الروحي".

وبناء على ذلك ترى الباحثة أن "البنا يمثل الانتقال من التقليدي إلى الحديث، على اعتبار أنه انتقال تاريخي، وأنه انتقال أيديولوجي أيضا. فهو يدخل إلى مفاهيم التحديث من خلال مصطلحات تقليدية، ويملا في نفس الوقت المفاهيم التقليدية بمضامين حديثة، ويستبدل على نحو تدريجي جزءا من المفاهيم التقليدية بمفاهيم حديثة.

أما نقده للنماذج الاجتماعية الغربية فإنه يبدأ عندما يتعلق الأمر بأحكام أخلاقية وبالوحي الإلهي حول الدولة والمجتمع، كما تلاحظ الباحثة.

يبقى القول إن إيفيزا لوين، التي درست السياسة والاقتصاد في مدينة بريمن الألمانية، ودرست العربية في دمشق، وعملت لسنوات طويلة صحفية حرة؛ قد نجحت على ما يبدو في قطع منتصف الشوط المعاكس للتجاهل القائم وأحكام التعسفية السائدة بعد أن عبرت عن رؤيتها هذه، التي تمثل تطورا نوعيا في فهم متقدم ومختلف للحالة الإسلامية في المنطقة الناطقة بألمانية. أما النصف الآخر من الشوط فسيكون مبعاده بمجرد فراغ لوين من رسالة الدكتوراه التي تعكف عليها حاليا، والتي خصصتها للإمام حسن البنا، مؤسس جماعة الإخوان المسلمين.

لا إله إلا الله منهج حياة

بقلم الشهيد سيد قطب

((5))

شريعة كونية

" الشريعة " التي سنّها الله لتنظيم حياة البشر هي - من ثم - شريعة كونية .. بمعنى أنها متصلة بناموس الكون العام، ومتناسقة معه .. ومن ثم فإن الالتزام بها ناشئ من ضرورة تحقيق التناسق بين حياة الإنسان، وحركة الكون الذي يعيش فيه .. بل من ضرورة تحقيق التناسق بين القوانين التي تحكم فطرة البشر المضمرة والقوانين التي تحكم حياتهم الظاهرة، وضرورة الالتئام بين الشخصية المضمرة والشخصية الظاهرة للإنسان ..

ولما كان البشر لا يملكون أن يدركوا جميع السنن الكونية، ولا أن يحيطوا بأطراف الناموس العام - ولا حتى بهذا الذي يحكم فطرتهم ذاتها ويخضعهم له - رضوا أم أبوا - فإنهم - من ثم - لا يملكون أن يشعروا بحياة البشر نظاماً يتحقق به التناسق المطلق بين حياة الناس وحركة الكون، ولا حتى التناسق بين فطرتهم المضمرة وحياتهم الظاهرة .. إنما يملك هذا خالق الكون وخالق البشر، ومدير أمره وممرهم، وفق الناموس الواحد الذي اختاره وارتضاه .

وكذلك يصبح العمل بشريعة الله واجباً لتحقيق ذلك التناسق .. وذلك فوق وجوبه لتحقيق الإسلام اعتقاداً . فلا وجود للإسلام في حياة فرد أو حياة جماعة ، إلا بإخلاص العبودية لله وحده ، وبالتالي في كيفية هذه العبودية عن رسول الله وحده ، تحقيقاً لمذلول ركن الإسلام ا ول : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله .

وفي تحقيق التناسق المطلق بين حياة البشر وناموس الكون كل الخير للبشر ، كما أن فيه الصيانة للحياة من الفساد .. إنهم - في هذه الحالة وحدها - يعيشون في سلام من أنفسهم .. فأما السلام مع الكون فينبأ من تطابق حركتهم مع حركة الكون ، وتطابق اتجاههم مع اتجاهه .. وأما السلام مع أنفسهم فينبأ من توافق حركتهم مع دوافع فطرتهم الصحيحة ، فلا تقوم المعركة بين المرء وفطرته ، ن شريعة الله تتسق بين الحركة الظاهرة والفطرة المضمرة ، في يسر وهدهو .. وينشأ عن هذا التنسيق تنسيق آخر في ارتباط الناس ونشاطهم العام ، نهم جميعاً يسلكون حينئذ وفق منهج موحد ، هو طرف من الناموس الكوني العام .

كذلك يتحقق الخير للبشرية عن طريق إهدائها وتعريفها في يسر إلى أسرار هذا الكون ، والطاقات المكونة فيه والكنوز المنخورة في أطوائه - واستخدام هذا كله وفق شريعة الله ، لتحقيق الخير البشري العام ، بلا تعرض ولا اصطدام .

ومقابل شريعة الله هو أهواء البشر : { وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ } ... [المؤمنون : 71] .

ومن ثمّ توحد النظرة الإسلامية بين الحق الذي يقوم عليه هذا الدين، والحق الذي تقوم عليه السموات وأرض، ويصلح عليه أمر الدنيا وأخره، ويحسب الله به ويجازي من يتعدونه.. فهو حق واحد لا يتعدد، وهو الناموس الكوني العام الذي أراده الله لهذا الوجود في جميع أحوال، والذي يخضع له ويؤخذ به كل ما في الوجود من عوالم وأشياء وأحياء.

{ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ، وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ، فَلَمَّا أَصْبَوْا بَسَطْنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ، لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاءَلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ، فَأَلْوَا بِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُوا فَمَا تَكْفُلُونَ ، فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ، وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ، لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخِذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ، بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ، وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ، يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ } .. [انبياء : 10 - 20] .

وفطرة الإنسان تدرج هذا الحق في أعماقها ، فطبيعة تكوينه وطبيعة هذا الكون كله من حوله ، توحي إلى فطرته بأن هذا الوجود قائم على الحق ، وأن الحق أصيل فيه ، وأنه ثابت على الناموس ، لا يضطرب ، ولا تتفرق به السبل ، ولا تختلف دورته . ولا يصطدم بعضه ببعض ، ولا يسير وفق المصادفة العابرة والفلتة الشاردة ، ولا وفق الهوى المتقلب والرغبة الجامحة ! إنما يمضي في نظامه الدقيق المحكم المقدر تقديراً .. ومن ثم يقع الشقاق - أول ما يقع - بين الإنسان وفطرته عندما يحيد عن الحق الكامن في أعماقها ، تحت تأثير هواء ، وذلك عندما يتخذ شريعة حياته مستمدة من هذا الهوى لا من شريعة الله ، وعندما لا يستسلم لله لاستسلام هذا الوجود الكوني الخاضع لمولاه !

ومثل هذا الشقاق يقع بين أفراد والجماعات وأمم وأجيال ، كما يقع بين البشر والكون من حولهم ، فتتقلب قواه ونخائره وسائل تدمير وأسباب شقاء ، بدلاً من أن تكون وسائل عمران وأسباب سعادة لبني الإنسان .

وإن فإن الهدف الظاهر من قيام شريعة الله في أرض ليس مجرد العمل للأخرة . فالدنيا وأخره معاً مرحلتان متكاملتان ، وشريعة الله هي التي تتسق بين المرحلتين في حياة هذا الإنسان . تتسق الحياة كلها مع الناموس الإلهي العام .

والتناسق مع الناموس لا يوجب سعادة الناس إلى آخره ، بل يجعلها واقعة ومتحققة في المرحلة الأولى كذلك ، ثم تتم تمامها وتبلغ كمالها في الدار الآخرة .

الشهيد حسن البنا

والاقتصاد المصري

صور تطبيق

النظام الاقتصادي الإسلامي

((1))

استقلال النقد

نكرنا بعض اصول التي يقوم عليها النظام الاقتصادي الإسلامي، والروح التي تمليها علينا تلك اصول، التي تنتج مع التطبيق الصحيح وضعا اقتصاديا سليما ليس أفضل منه، فهي توجب استقلال نقدنا، واعتماده على رصيد ثابت من مواردنا ومن ذهبننا، لا على أدونات الخزنة البريطانية ودار الضرب البريطانية والبنك الهلي البريطاني - وإن كان مقره مصر - وتأمل اية الكريمة:

{ وَلَا تَوَدُّوا السُّهُبَاءَ أَمْوَالِكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا } (النساء: 5).

ومن أفضح التعرير بهذا الشعب، أن يسلم جهوده ومنتجاته نظير أوراق لا قيمة لها إلا بالضمان الإنجليزي، وإن مصر إذا حزمت أمرها، وأحكمت تصرفاتها، ستصل ولا شك إلى هذا الاستقلال.. ولقد انفصلنا عن الكذالة الإسترلينية، وفكرنا في تأميم البنك الهلي، وطالبنا بالديون التي لنا على الإنجليز، وكل هذه ونحوها مشروعات تؤمن النقد المصري .. فماذا فعل الله بها؟ وماذا أعدنا عدة لإنقاذها؟

لعل من المفارقات أن أكتب هذه الكلمات في الوقت الذي يداع فيه أن المفاوضات بين مصر وإنجلترا حول ا رصدة الإسترلينية باءت أو قاربت أن تبوء بالفشل، لتعنت الإنجليز وتمسكهم بالأل يدفعوا لمصر عن سنة 1948 أكثر من 12 مليوناً، في الوقت الذي تطلب فيه مصر طلباً متواضعا هو 18 مليوناً.

ولقد أنتج ضعف الرقابة على النقد، والاستهانة بأمره استهانة بلغت حد الاستهتار، هذه المأساة التي نصطلي بناها من التضخم الذي استتبع غلاء المعيشة، وصعوبة الاستيراد والتصدير .

تصير الشركات

كما توجب هذه اصول الاهتمام الكامل بتصير الشركات، وإحلال رؤوس ا موال الوطنية محل رؤوس ا موال اجنبية كلما أمكن ذلك، وتخليص المرافق العامة - وهي أهم شيء للأمة - من يد غير أبنائها، فلا يصح بحال أن تكون ا أرض والبناء والنقل والماء والنور والموصلات الداخلية والنقل الخارجي حتى الملح والصودا .. في يد شركات اجنبية تبلغ رؤوس أموالها وأرباحها الملايين من الجنيهات، لا يصيب الجمهور الوطني ولا العامل الوطني منها إلا البؤس والشقاء والحرمان .

استغلال منابع الثروة

واستغلال منابع الثروة الطبيعية استغلالا سريعا منتجا ، أمر يوجب الإسلام ، الذي لفت كتابه أنظارنا إلى آثار رحمة الله في الوجود ، وما أودع في الكون من خيرات في ا أرض وفي السماء ، وأفاض في أحكام الركان، وحث على طلب الخير أينما كن . في الماء عندنا ثروات، وفي الصحاري ثروات ، وفي كل مكان ثروات، لا ينقصها إلا فكر يوجه، وعزيمة تدفع ، ويد تعمل، وخذ بعد ذلك من الخير ما تشاء: {لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ، وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ أَلْوَانٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } (فاطر: 27-28) .. والعلماء هنا فيما يظن الذين يعملون علم الكائنات وما فيها للناس من خير، وما يتجلى في دقيق صنعها من وسع علم الله خالق ا أرض والسموات .

الإمام حسن البنا